



د. محمد بن عزوز

## ■ الغرب يتعامل مع معطياتنا الحضارية بما يرضيهم، وعلينا أن نتعامل مع معطياتهم الحضارية بما يفيدنا، ولا نقع في التقليد والاتباع.

بخصوصيتها الحضارية المرتبطة بمرجعيتها الفكرية والفلسفية والتاريخية. ومادامت هذه المذاهب جزءاً من خصوصية البيئة التي أنتجتها فإن محاولة صبغها بصيغة عالمية لا يعدو أن يكون ضرباً من التبعية والتقليد، الذي قد يرفضه أصحابه، فما بال المفتونين بكل ما هو غربي لا يعون هذه الحقيقة؟! توجد نقطتان بارزتان في المجال الحضاري وهما: الخصوصيات الذاتية، والخصائص المشتركة.

فالخصائص المشتركة تتفاعل فيها مع غيرنا، ونأخذ منه ونعطيه، ولا حرج في ذلك.

فالحضارة نفسها لا تعدو أن تكون ثمرة من ثمار التفاعل الإيجابي بين الإنسان والكون والحياة.

أما الخصوصيات الذاتية المرتبطة بعقائد الغربيين وفلسفاتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم وما ينتج عنها من ألوان التعبير فلسنا ملزمين بها، وهم غير ملزمين كذلك بخصوصياتنا الذاتية المرتبطة بالإسلام وما انبثق عنه من فكر وأدب. وهذا سلوكهم معنا على مر التاريخ. فهم يتعاملون مع معطياتنا الحضارية بما يرضيهم، وعلينا أن نتعامل مع معطياتهم الحضارية بما يفيدنا، ولا نقع في التقليد والاتباع.

**وأوضح د. عبد الباسط بدر أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً، جوانب من الآثار الإيجابية والسلبية في الدراسات الأدبية والنقدية، وكاشفاً عن عدد من الحقائق لا بد من وعيها للارتقاء بأدبنا الإسلامي، فقال:**

حمل العصر الحديث إلى أدبنا مستجدات كثيرة ظهرت

آثارها في شكله ومضمونه، وكان بعضها إيجابياً أثراً بفنون لم يعرفها من قبل، كفن المسرحية وفن الرواية، وبعضها الآخر سلبياً يملؤه بمضامين مضادة لعقائدنا وتقاليدينا، ويسعى لقطعه عن جذوره بحجج وأعداء شتى، وتحويله إلى تقليد مشوه لأدب نبتت في غير بيئاتها وحملت طوابع تلك البيئات وثقافتها.

وامتدت الآثار الإيجابية والسلبية إلى دراسات الأدب ونقده، وكانت نتائجها فيها مماثلة لنتائجها في الأدب، فمن إيجابياتها عطاءات لا تكرر، كتأريخ الأدب بمناهج متعددة، والتحليل الفني الشامل للنص، والتنظير الذي يرصد ظواهر الأدب واتجاهاته، فهذه الأنماط من الدراسات لم تكن معروفة. على هذا النحو من التفصيل والشمول. لدى نقادنا القدماء، لا لقصور ثقافتهم أو ضعف مناهجهم، بل لأن العصور التي وجدوا فيها لم تكن قد وصلت إلى هذه المناهج والثقافات، سواء في عالمنا العربي والإسلامي أو في العالم الغربي، وقد يجد الدارسون في تراثنا النقدي عبارة لناقد أو كلمات لمتذوق تماثل أو تقارب بعض ما يرد في الدراسات النقدية الحديثة ويدعي أنها سبق معرفي، وبذور لما وصل إليه المحدثون،



د . عبدالباسط بدر

■ لا يمكن أن نغلق أبوابنا في وجوه آداب الآخرين، وليس من الحكمة أن نفعل ذلك ولو قدرنا عليه.

■ إن معظم نقادنا ومنظرينا ضيوف على موائد الآخرين في تنظير الاتجاهات والمذاهب الأدبية، يستخدمون مصطلحاتها ومقاييسها في تصنيف أدبنا وأدبائنا، بأسماؤها الأصلية أو بأسماؤها المترجمة.

وهذا تمحل لا يقنع أحداً بأنه أصول للدراسات الأدبية والتنظير النقدي الحديث.

وأما النتائج السلبية فتتمثل في مفالة بعض الدارسين والمنظرين المحدثين في الأخذ من النقد والتنظير الغربي إلى درجة تطبيق مناهج بأكملها على أدبنا القديم والحديث، بدءاً بالمناهج النفسي ووصولاً إلى المناهج التي تطلت بشعار الحداثة كالبنوية والتفكيكية والتشريدية... إلخ، ولم يعبؤوا بارتباطات هذه المناهج بأصولها الفلسفية التي أفرزتها المدنية الغربية وحملت طفراتها وكبواتها، وقد توهم هؤلاء بأن المناهج وسائط ومقاييس محضة يمكن تجريدتها من تلك الأصول، وتطبيقها - حذو القدوة بالقدوة - على تراثنا الأدبي وإبداعات أدبائنا المعاصرين، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً مضنية، ولكنهم لم يصلوا إلى نتائج مقنعة، اللهم إلا تشويش شريحة من المثقفين، وإثارة الحيرة والبلبل في ساحاتنا الثقافية.

**أولاً:** إن الأدب - بفنونه المتعددة - ظاهرة مهمة في حياتنا، له وظائفه الجمالية والثقافية المتنامية في عصرنا الحديث.

**ثانياً:** إن الأدب هو المستودع الشعوري للأمة يحمل خصائصها وثقافتها وآثار تراثها.

**ثالثاً:** إن الأدب إبداع إنساني عام، له قدرة فائقة على الانتقال بين الأمم على اختلاف لغاتها وأجناسها، والتأثير في الآخرين بما يحمله من خصائص وصفات، والتأثر بما لديهم من خصائص وصفات أيضاً.

**رابعاً:** لا يمكن أن نغلق أبوابنا في وجوه آداب الآخرين، وليس من الحكمة أن نفعل ذلك ولو قدرنا عليه.

**خامساً:** إن النقد والتنظير مواكبان للأدب منذ القدم، وقد اشتد أمرهما في عصرنا الحديث وأصبحتا ركناً ثقافياً مهماً، تقوم فيه الأعمال الأدبية وتستخلص خصائصها، وتُصنّف ضمن اتجاهات ومذاهب تترسخ يوماً بعد يوم.

**سادساً:** إن معظم نقادنا ومنظرينا ضيوف على موائد الآخرين في تنظير الاتجاهات

لقد كشفت المستجدات الطارئة على أدبنا الحديث - بإيجابياتها وسلبياتها - حقائق ينبغي أن نعيها بعمق، وأن نحسن التعامل معها كي يمضي أدبنا في مدارج التطور والارتقاء، أجملها في المحاور التالية: